المحاضرة الحادية عشرة
علوم القرآن 2
رســـــــــم المصحـــف

•الحديث عن رسم المصحف يدعونا للحديث عن صلة العرب بالرسم ومعرفتهم به.
•الأصل في المكتوب أن يطابق المنطوق، إلا أنا نجد مخالفة لهذا الأصل ليس في الكتابة العربية فحسب بل حتى في اللغات الأجنبية، فمن الحروف ما ينطق ولا يكتب، ومنها ما يكتب ولا ينطق.
•وكتابة القرآن في المصاحف نوع من أنواع الكتابة التي يخالف نطقها كتابتها في بعض المواضع.
•ولا شك أن الرسم الإملائي كان معروفًا قبل نزول القرآن الكريم، وقد حرص الصحابة -رضي الله عنهم- على كتابة المصحف بطريقة تمنع من يتلو النص القرآني من الوقوع في اللحن بسبب خلوه من رموز الحركات واشتراك بعض الحروف في رمز كتابي واحد فرمز الباء والتاء والثاء مثلا هو "ب" بلا نقط.

•هل نهج الصحابة في كتابة المصحف منهجا معينا؟:
•ويبدو أن الصحابة -رضي الله عنهم- لم يخترعوا كتابة جديدة أو يصطلحوا على طريقة مبتكرة بل كتبوا أكثر القرآن بالطريقة السائدة للكتابة في عصرهم، وتشهد النقوش التي ترجع إلى القرن الأول الهجري أن الكتابة السائدة حينئذ مطابقة للصورة التي نجدها في الرسم العثماني، إلا أن اتساع استخدام الكتابة العربية في القرون الهجرية الأولى أظهر الحاجة الماسة إلى تطوير الكتابة لتكون أكثر تحديدًا وضباطًا.
•وكان هناك توافق بين رسم المصحف والكتابة العادية في غير المصحف

•واستمر الأمر على ذلك إلى أن ظهر علماء اللغة في البصرة والكوفة وأسسوا لفن الكتابة ضوابط وروابط بنوها على أقيستهم النحوية وأصولهم الصرفية وسموها على الخط القياسي أو الاصطلاحي المخترع وسموا رسم المصحف بالخط المتبع. وكلما تقدم الزمن ازدادت الحاجة إلى توحيد قواعد الكتابة وضبطها.

•هل تأثر رسم المصحف بالاصطلاح الجديد في فن الكتابة؟ ولماذا؟
•إلا أن العلماء المسلمين بتوفيق الله لهم أبقوا رسم المصحف على الكتبة الأولى صيانة للقرآن من أن يتعرض للتغيير والتبديل بين حين وآخر مما قد يؤدي إلى وقوع الخطأ والتحريف والتبديل.
•هذا الاختلاف النسبي بين كتابة المصحف والكتابة الإملائية المصطلح عليها دعا علماء القراءات والرسم إلى تأليف كتب تشرح هذه الاختلافات، وتستنبط قواعد رسم المصحف،

وتضبط كيفية كتابة الكلمات، فجاءت مؤلفاتهم بين دراسة منهجية عامة تعنى بضبط القواعد والأصول، ودراسة تطبيقية تتبع الكلمات القرآنية حسب ترتيب السور والآيات فتبين طريقة رسمها، فظهر **علم رسم المصحف.**

•تعريفه:

•وردت في اللغة العربية عدة كلمات للدلالة على تمثيل الألفاظ برموز مرئية من أشهرها "الكتابة، والهجاء، والخط، والرسم، والإملاء"

•ويبدو أن أقدمها استعمالا هو الكتابة ثم استعمل الهجاء والخط في عناوين كثيرة من المؤلفات قديمًا في قواعد الكتابة ومصطلحاتها، وفي وقت متأخر استعمل مصطلح الإملاء للدلالة على هذا المعنى ولا يزال هو الغالب في الاستعمال في عصرنا هذا.

•أما الرسم فإن معاجم اللغة العربية لا تذكر لمادته أي معنى يتعلق بالخط فهو في اللغة: بمعنى الأثر، ورسم كل شيء: أثره.

•ثم أطلق هذا المصطلح(الرسم) على رسم المصحف أكثر من إطلاقه على رسم غيره. وربما كان استعمال الرسم للدلالة على خط المصحف إشارة إلى معنى الأثر القديم الذي يحرص المسلمون على المحافظة عليه، فظهر مصطلح "مرسوم الخط" و"مرسوم خط المصاحف" و"الرسم".

•ويراد بالرسم اصطلاحًا:

•تصوير كلمة بحروف هجائها، بتقدير الابتداء بها، والوقوف عليها، لتتحول اللغة المنطوقة إلى آثار مرئية.

•الرسم العثماني هو :

•الوضع الذي ارتضاه الصحابة في عهد عثمان -رضي الله عنه- في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه، في الجمع الثالث للقرآن

•عناية العلماء به:

•اعتنى العلماء قديمًا وحديثًا برسم المصحف، فمن أهم المؤلفات:

•1- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني "ت444هـ" حققه الأستاذ محمد أحمد دهمان.

•2- الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف: ابن وثيق الأندلسي "ت654هـ" تحقيق د. غانم قدوري الحمد.

•3- البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه: لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن معاذ الجهني "ت442هـ" تقريبًا تحقيق د. غانم قدوري الحمد ونشره في مجلة المورد م15 العدد الرابع 1407هـ.

•4- عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل: لأبي العباس أحمد بن البناء المراكشي "ت721هـ" حققته د. هند شلبي.

•5- عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد: للإمام الشاطبي "ت590هـ"
•6- رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية: ألفها د. غانم قدوري الحمد. وهذا الكتاب من أفضل المؤلفات وأشملها في رسم المصحف، لم يعتمد فيه مؤلفه على مجرد النقل بل كان عماده التحقيق الدقيق.
•7- جامع البيان في معرفة رسم القرآن: للأستاذ علي إسماعيل السيد هنداوي .

•قواعد رسم المصحف:
•(هي قواعد مستنبطة غيرموضوعة بدء ولا متبعة)
•لم تكن هذه القواعد منهجًا معلومًا مرسومًا للصحابة يلتزمونه عند كتابة المصحف، وإنما هي قواعد استنبطها العلماء بعد ذلك عن طريق الاستقراء والتتبع،
•كذلك هي غير ثابتة أو مطردة في جميع كلمات القرآن الكريم:
•بمعنى أنه قد يخرج عن كل قاعدة عدد من الكلمات أحيانًا، وقد يلتزم في كلمة واحدة كتابتها وفق القاعدة في موضع وبخلافها في موضع آخر، فطريق الكتابة للمصحف هو النقل وحده.

•وقد استنبط العلماء لرسم المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه **ست قواعد هي:**
•1- قاعدة الحذف.
•2- قاعدة الزيادة.
•3- قاعدة البدل.
•4- قاعدة الهمز.
•5- قاعدة الفصل والوصل.
•6- قاعدة مافيه قراءتان.

•القاعدة الأولى: قاعدة الحذف:
•ونعنى بذلك حذف بعض الأحرف في بعض المواضع ، وهي خمسة أحرف:
•الألف، والواو، والياء، واللام، والنون.
•أما الألف:
•فتحذف لثلاثة أمور:
•حذف: إشارة ، واختصار ، واقتصار.

•1- حذف إشارة:

•والمراد الإشارة بحذف الألف إلى قراءة أخرى محذوفة الألف. مثل حذفها في قراءة: "مالك يوم الدين" تكتب هكذا:(ملك يوم الدين) ويوضع على الميم ألفا صغيرا ليدلّ على القراءة الأخرى (مالك يوم الدين)

•وكحذفها في قوله تعالى: "وإن يأتوكم أسرى تفادوهم" فحذف الألف في {أُسَارَى} إشارة إلى قراءة حمزة حيث قرأها "أسْرى" بفتح الهمزة وإسكان السين وبدون ألف بعدها.

•وكحذف الألف في "تُفَدوهم" إشارة إلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة وخلف حيث قرءوها "تَفْدوهم" بفتح التاء وسكون الفاء وبدون ألف بعدها.

•2- حذف اختصار:

•ويراد به حذف الألف من جمع المذكر أو المؤنث السالمين إذا لم يقع بعد الألف تشديد أو همز. مثل (العلمين)(الذريت)

•أما إذا وقع بعدها مباشرة حرف مشدد أو همز فتثبت مثل :(الضَّالِّينَ)(وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ)

•3- حذف اقتصار:

•وهو حذف يرد في كلمة دون نظائرها في المواضع الأخر(ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعد) ولا تحذف الألف في بقية المواضع.

•وأما الياء

•تحذف في حالات منها:

•1- إذا اجتمعت الياء مع ياء أخرى سواء كانت الياء صورة للهمزة مثل (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ) أم لم تكن صورة للهمزة:(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ)

•2وتحذف ياء المتكلم المضمر المتصل، مثل :(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

•3وتحذف من آخر كل اسم منقوص منون في موضع رفع أو وجرا، نحو: {غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ}.

•وأما الواو:

•فتحذف في حالات منها:

•1- إذا اجتمعت مع واو أخرى سواء كانت صورة للهمزة مثل : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) أو لم تكن صور للهمزة ،نحو: {لا يَسْتَوُنَ، فَأْوُا إِلَى الْكَهْفِ} .

•2- وتحذف الواو حملا للخط على اللفظ مثل: (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ) و(سندع الزبانية)، أي من أجل محاكاة الخط للفظ،(توافقهما).

•ومن فوائد ذلك منع اللحن في القراءة.

•وأما اللام:

•فتحذف إذا وقعت مع لام أخرى في خمس كلمات هي "الليل" و"اللائي" ترسم هكذا:(الّيل ، والّائي) و"التي" و"اللاتي" و"الذي" سواء كان الأخير مفردًا أو مثنى أو مجموعًا وما عدا هذه الكلمات الخمس فلا حذف مثل "اللطيف" و"اللوامة" و"اللؤلؤ" و"اللهم" وغيرها.
•وأما النون:فتحذف في موضعين:
•(فَنُجِّىَ من نشاء)(وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ)

•القاعدة الثانية: قاعدة الزيادة:
•والمراد بالزيادة حقيقة: إثبات حروف في الكلمة لا يقرأ وصلًا ولا وقفًا، والأحرف التي تزاد هي:
الألف، والواو، والياء.

•أما الألف:
•فتزاد في حالات منها:
•1- تزاد الألف بعد واو الجماعة إذا لم يتصل بالفعل ضمير ، مثل(آَمَنُوا)(كَفَرُوا).
•2- وتزاد بعد الواو الأصلية في الفعل المضارع المعتل بالواو في حالة الرفع أو النصب، مثل: (وَمَا آَتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَاْ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ)و(يدعواْ) و(ونبلواْ)، إلا في موضع واحد هو(عسى الله أن يَعْفُوَ) جاء مخالفا للقاعدة.
•3- وتزاد بعد الواو التي هي علامة الرفع في جمع المذكر السالم أو ما جرى مجراه إذا حذفت نونه للإضافة الظاهرة، مثل:(مُرْسِلُواْ الناقة) أصلها:(مرسلون الناقة)
•ونحو:(كاشفواْ العذاب) و(وصالواْ النار).

•4- وتزاد في مواضع أخرى لا تندرج تحت القاعدة منها:
•بعد الهمزة المرسومة واوا نحو {تَاللَّهِ تَفْتَأُ} فإنها ترسم هكذا: تالله تفتؤا.
•وفي كلمات: مائة ومائتين والظنون والرسول والسبيل في قوله تعالى: {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} . {وَأَطَعْنَا الرَّسُولا}. {فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا} .

وأما الواو:
فتزاد في أربع مواضع باتفاق هي:{أُولُو، أُولَئِكَ، أُولاءِ، أُولاتِ} .

•وأما الياء:
•فتزاد في مثل هذه الكلمات : { آنَاءَي، مِنْ تِلْقَاءِي، بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ، بِأَيْدٍ} من قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} .

•القاعدة الثالثة قاعدة البدل:

•الحروف التي تبدل ثلاثة:الألف ، والنون ، وتاء التأنيث.

•أما الألف: فتبدل إلى حرفين:الياء والواو.

•ترسم الألف ياء إذا كانت منقلبة عن ياء تنبيها على أصلها، نحو {يَا حَسْرَتَى ، يَا أَسَفَىْ} و(هدى) و(أعطى)

•والقاعدة التي يعرف بها أصل الألف أن تثنى الكلمة إذا كانت اسما مثل (فتى) فتيان . أو تسند إلى تاء الضمير إذا كانت فعلا مثل (رمى) رميت .

•وكذلك ترسم الألف ياء في هذه الكلمات: {إِلَى، عَلَى، أَنَّى -بمعنى كيف- مَتَى، بَلَى، حَتَّى، لَدَى} ما عدا {لَدَى الْبَابِ} في سورة يوسف فإنها ترسم ألفا (لدا الباب).

•وترسم الألف واوا للتفخيم في مثل الصلاة،تكتب:الصلواة والزكاة والحياة إلا ما استثني.

•وأما النون:

•فترسم ألفا في مواضع منها:

•ا- يرسم التنوين ألفا في كل اسم منصوب ليس فيه هاء التأنيث ولا مقصور مثل {حُكْماً وَعِلْماً} و {مَلْجَإً} و {مُتَّكَأً} و {تَقْدِيرًا} وما أشبه ذلك.

•2- نون التوكيد الخفيفة تكتب ألفا إذا كان ما قبلها مفتوحا مثل:(وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ) ترسم:(وليكونًا) و {لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ}.

•3- وفي كلمة إذن تكتب النون ألفا مثل:(وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) و(إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) و {قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا} وإنما كتبت بالألف لإجماع القراء على أن الوقف عليها يكون بالألف.

•وأما تاء التأنيث:

•فترسم هاء في الأسماء دون الأفعال.وتنطق تاء في الوصل ، وهاء في الوقف هذا حالها في الغالب الأعم، مثل:(رحمة) في:(وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) و(نعمة) في:(وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) و(كلمة) في:(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

•والفرق بين ما كتب بالتاء المفتوحة، والهاء أن ما كتب بالهاء يوقف عليه بالهاء، ويوصل بالتاء.

•وأما ما كتب بالتاء المفتوحة فيقرأ بالتاء بالوصل، وبالوقف ،

•القاعدة الرابعة: قاعدة الهمز:

•لا تخلو الهمزة من أن تكون في أول الكلمة، أو وسطها، أو في آخرها.

•فإذا كانت الهمزة في أول الكلمة:

•فقد اتفق شيوخ النقل على أن الهمزة الواقعة في أول الكلمة تكتب على الألف سواء كانت مكسورة أو مفتوحة أو مرفوعة. وسواء كانت همزة وصل أم قطع:

•الهمزة الواقعة في أول الكلمة مكسورة {إِيَّاكَ} .

•الهمزة الواقعة في أول الكلمة مفتوحة {أَنْعَمْت}.
•الهمزة في أول الكلمة مضمومة {أُولَئِكَ}

•همزة الوصل في أول الكلمة مكسورة {اتَّخِذُوا}.
•همزة الوصل في أول الكلمة مفتوحة {الْحَمْدُ لِلَّه}.
•همزة الوصل في أول الكلمة مضمومة {ادْعُ}.

•القاعدة الخامسة: قاعدة الفصل والوصل.
•الأصل في الكتابة فصل الكلمة عن الكلمة لأن كل كلمة تدل على معنى غير معنى الكلمة الأخرى، فكما أن المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبر عنهما.
•وهو ما نص علماء العربية ليدل كل لفظ على ما وضع له مفردا، إلا أنا نجد بعض الكلمات في رسم المصحف ترد مرة موصولة بما بعدها، وترد مفصولة في موضع آخر.
•وفي هذه القاعدة يورد علماء الرسم ما يوصلُ وما يفصلُ من هذه الكلمات.
•ويريدون بالموصول: كل كلمة اتصلت بما بعدها في الرسم.

•وبالمفصول: كل كلمة انفصلت عما بعدها في الرسم.
•وإذا كانت الكلمة مفصولة عن غيرها جاز الوقف عليها في مقام التعليم أو الاختبار أو في حالة الاضطرار.
•وإذا كانت الكلمة موصولة بما بعدها لم يجز الوقف عليها بل على الكلمة الثانية منهما وتنزل الكلمة الأولى مع الثانية منزلة الكلمة الواحدة.
•ولعلك تقول: إذا كان الفصل هو الأصل فكان الحق ألا يذكر علماء الرسم إلا ما خالف الأصل دون ما وافقه، فما بالهم يتناولون هنا الموصول، والمفصول جميعًا.
•وقد علل بعض علماء الرسم ذلك بأنهم تناولوا المفصول اختصارًا لقلته بالنسبة إلى الموصول ولو تعرضوا إلى جميع ما جاء موصولًا على

•خلاف الأصل لطال الكلام وفات الاختصار.
•ومن الكلمات التي تدخل في هذه القاعدة:
•1- "ألا" أصلها أن لا وكتبت موصولة في {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}.
•2- "مما" أصلها من ما وكتبت موصولة في {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون}.
•3- "أينما" أصلها أين ما وكتبت موصولة في {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّه}.

•4- "بئسما" أصلها بئس ما وكتبت موصولة في {بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي}.
•5- "كيلا" أصلها كي لا وكتبت موصولة في {لِكَيْلا يَعْلَم}.

•6- "ويكأن" أصلها وي كأن وكتبت موصولة في {وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُون}.
•7- "ألن" أصلها أن لن وكتبت موصولة في {أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَه}.
•8- "ممن" أصلها من من وكتبت موصولة في {مِمَّنْ مَنَع}.
•9- "فيم" أصلها في ما وكتبت موصولة في {قَالُوا فِيمَ كُنْتُم}.

•10- "نعما" أصلها نعم ما وكتبت موصولة في {نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِه}.
•11- "يبنؤم" أصلها يا ابن أمي وكتبت موصولة في {يَبْنَؤُم لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي}.
•12- "كأنما" أصلها كأن ما وكتبت موصولة في {كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء}.
•هذه بعض الكلمات التي وردت في القرآن موصولة والأصل في رسمها الفصل.

•القاعدة السادسة: ما فيه قراءتان:
•ويدخل تحت هذه القاعدة نوعان من الكلمات:
•النوع الأول: كلمات فيها أكثر من قراءة وتدخل تحت إحدى القواعد السابقة:
•ففي قاعدة الحذف ترسم "ملك يوم الدين" بحذف الألف لأن في ملك قراءتين بالألف "مالك" وهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف ، وقرأ الباقون بحذفها.

•وفي قاعدة الهمز كلمة النشأة في قوله تعالى: {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى} رسمت بإثبات الهمزة مع أن القاعدة أن الهمزة المتحركة إذا كان قبلها ساكن غير ألف تحذف صورة الهمزة فتكتب هكذا: "النشـءَ ـة" إلا إنها رسمت بإثبات الهمز، وفي ذلك إشارة إلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو "النشاءَة" بفتح الشين وإثبات ألف بعدها وبعد الألف همزة مفتوحة.
•وفي قاعدة البدل كل ما اختلف فيه القراء جمعًا وإفرادًا يرسم بالتاء ليحتمل القراءتين {غَيَابَت} قرأهما المدنيان بالألف على الجمع والباقون بغير الألف على الإفراد. ومثل {آيَاتٌ لِلسَّائِلِين} قرأها ابن كثير بغير الألف على الإفراد والباقون بالألف على الجمع.

•النوع الثاني:
•كلمات يحتمل رسمها قبل النقط أكثر من قراءة.
•ومن أمثلة ذلك:
•{إِثْمٌ كَبِير} بدون نقط قرأ حمزة والكسائي بالثاء "كثير" وقرأ الباقون بالباء.
•{نُنْشِزُهَا} بدون نقط قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالزاي والباقون بالراء.
•{فَتَبَيَّنُوا} بدون نقط قرأ حمزة والكسائي وخلف "فتثبتوا" وقرأ الباقون "فتبينوا".

•فوائد ومزايا رسم المصحف:

•يجب أن يعلم أن الصحابة لم يخترعوا رسمًا خاصًّا لكتابة القرآن وإنما كتبوه بالطريقة السائدة للكتابة في عصرهم إلا في مواضع خالفوا فيها هذه الطريقة لحكم وفوائد.

•الفائدة الأولى:

•اشتمال هذا الرسم في جملته على القراءات الصحيحة، وبعض الألفاظ يحتمل رسمها أكثر من قراءة مثلا:

•يكتبون{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} بحذف الألف بعد الميم الأولى ووضع ألف صغيرة للإشارة إلى الألف المحذوفة في قراءة عاصم والكسائي "مالك" وفي حذفها إشارة إلى قراءة الباقين "ملك".

•وكذلك رسمهم آية:{إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ} فقد رسمت في المصحف قبل النقط هكذا "إن هذن" ليحتمل الرسم كل القراءات وهي:

•1- "إنَّ هذانِ" وهي قراءة نافع وابن عامر وشبعة وحمزة والكسائي.

•2- "إنْ هذانِّ" وهي قراءة ابن كثير.

•3- "إنْ هذانِ" وهي قراءة حفص عن عاصم.

•4- "إنَّ هذين" وهي قراءة أبي عمر.

•وإياك أن تفهم أن الصحابة هم الذين حذفوا النقط أو الشكل وإنما نعني أن عدم وجود النقط أصلا في ذلك الوقت، وعدم وجود الشكل ثانيًا، وحذفهم لبعض الأحرف ثالثًا، كل هذا ساعد على رسم بعض الكلمات بحيث تصلح لأكثر من قراءة.

•وقد أنكر بعض الباحثين هذه الفائدة معللًا دعواه بأن النقط لم يكن معروفًا عند الصحابة -رضي الله عنهم- حتى يتعمدوا حذفه لهذا الغرض.

•ونحن لم نقل أن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يعرفون النقط أو الشكل ولكن نقول إن عدم وجود النقط والشكل في تلك الفترة ساعد على كتابة الكلمة بطريقة تحتمل أكثر من قراءة.

•بقي أن نقول: إنه إذا كان في الآية أكثر من قراءة ولا يمكن كتابتها برسم واحد يحتمل هذه القراءات فإنهم يكتبون كل قراءة في مصحف ليتفق كل رسم مع القراءة التي يقرأ بها.

•فمثلًا قوله تعالى: {وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} كتبت الكلمتان في المصحف الشامي "وبالزبر وبالكتاب المنير" بزيادة باء في الزبر وباء أخرى في الكتاب. وكتبتا في سائر المصاحف بحذف الباءين.

•وهذا هو السبب الذي من أجله قيل – في صحة القراءة – أن توافق القراءة أحد المصاحف العثمانية.

•وفي قوله تعالى: {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} كتبت في المصحف المكي "من تحتها" بزيادة "من" ، وفي بقية المصاحف بدونها.

•وفي قوله تعالى: {وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَبا} ، كتبت في المصحف المكي والمدني والشامي "منهما" بالتثنية وفي بقية المصاحف "منها" بالإفراد.

•الفائدة الثانية:

•أن في اختلاف الرسم عن النطق حملًا للناس على تلقي القرآن من أفواه القراء والحفاظ وعدم الاعتماد على مجرد القراءة من المصحف.

•وهكذا تلقى رسول الله القرآن وإصحابه.

•فهذا ابن مسعود -رضي الله عنه- يقول: "حفظت من في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بضعة وسبعين سورة" وبين عمن أخذ باقيه فقال: "وأخذت بقية القرآن عن أصحابه"

•وكان إذا سئل عن سورة لم يكن تلقاها عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- صرح لهم بذلك ودلهم على من تلقاها بالمشافهة عنه صلى الله عليه وسلم، فعن معديكرب قال: "أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ "طسم" المائتين. فقال: ما هي معي ولكن علكيم من أخذها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- خباب بن الأرت. قال: فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا".

•ولهذا قرر العلماء أنه لا يصح التعويل على المصاحف وحدها، بل لا بد من التلقي عن حافظ متقن وكانوا يقولون: "من أعظم البلية تشييخ الصحيفة" ويقولون: "لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي" .

•ولحمل الناس على تلقي القرآن مشافهة مزيتان:

•المزية الأولى:

•التوثق من النطق الصحيح لألفاظ القرآن الكريم، وطريقة الأداء، وحسن الترتيل، وإتقان التجويد، وإخراج الحروف من مخارجها، فإن ذلك كله لا يمكن تحقيقه عن طريق الكتابة وحدها، إذ لا يمكن معرفة الروم، والإشمام، والتسهيل، والتحقيق، والتفخيم والقلقلة، والإدغام، والإخفاء إلا عن طريق السماع الصوتي من معلم متابع مصغ.

•المزية الثانية:

•اتصال السند برسول الله -صلى الله عليه وسلم-(وهذا هو التواتر) فإذا كان كل مسلم يتلقى القرآن عن معلم فإن السند سينتهي بالمعلم الأول عليه الصلاة والسلام عن جبريل عن ربه.

•ولا شك أن اتصال السند برسول -صلى الله عليه وسلم- في القرآن كله سوره، وآياته، وكلماته، وحروفه، بهيئاتها وحركاتها، وكيفية نطقها بطريق التواتر خاص بهذا القرآن، وهو من خواص هذا الكتاب الذي امتاز به على سائر الكتب، وخواص هذه الأمة التي امتازت به على سائر الأمم.

•هل رسم المصحف توقيفي أم احتهادي؟:

•اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في رسم المصحف هل هو توقيفي أو اجتهادي.

•**القول الأول: أن رسم المصحف توقيفي:**

•ويرى أصحاب هذا القول أن رسم المصحف ما هو إلا أمر توقيفي عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- علمه أصحابه فكتبوا المصحف به كما تعلموه قال الدباغ: "ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة وإنما هو توقيف من النبي وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية،

•وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضًا معجز"!! واستدلوا على ذلك بعدة أدلة منها:

•1- إقرار الرسول -صلى الله عليه وسلم- كتاب الوحي على هذا الرسم ، أي أن كتاب الوحي كانوا يكتبون القرآن بين يدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويقرهم عليه.

•2- أن القرآن كتب في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- بهذا الرسم ولم يغير فيه أو يبدل وكذلك في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

•3- اتفاق الصحابة على التزام هذا الرسم وإقرارهم لرسم المصحف في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم.

•4- اتفاق التابعين وتابعيهم على ذلك وعدم تجويزهم لمخالفته.

•وهذا كله يدل على أن رسم المصحف توقيفي ولو كان غير ذلك لجاز لهم تغيير رسمه فلما لم يفعلوا دل على التوقيف.

•5- واستدلوا ببعض الروايات غير الثابتة، وبعض الآثار غير الصريحة في الدلالة منها:

•كقول زيد رضي الله عنه: كنت أكتب الوحي عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يملي علي، فإذا فرغت. قال: اقرأ، فأقرؤه، فإن كان فيه سَقَط(نسيان) أقامه. ثم أخرج به إلى الناس.

•وسئل الإمام مالك: أيكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ قال: لا إلا على الكتبة الأولى.

•وقال الإمام أحمد: تحرم مخالفة خط المصحف.

•وقال البيهقي: من يكتب مصحفًا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف.

•وقال الزمخشري: خط المصحف سنة لا تغير.

•قالوا: وهذه الروايات والآثار تدل على أن رسم المصحف توقيفي لا تجوز مخالفته.

•**القول الثاني: أن رسم المصحف اصطلاحي:**

•ويرى أصحاب هذا القول أن رسم المصحف اصطلاحي لا توقيفي، كتبه الصحابة -رضي الله عنهم- بالطريقة التي كانوا يكتبون بها سائر كتبهم من غير نص من الرسول صلى الله عليه وسلم.
•وقال بهذا الرأي عدد من العلماء كابن خلدون والباقلاني وابن قتيبة وغيرهم.

•قال الباقلاني: "وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئًا، إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطاط المصاحف رسمًا بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه، وقال: "أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهًا معينًا ولا نهى أحدًا عن كتابته، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح وأن الناس لا يخفى عليهم الحال" ثم قال: "وإذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة، وكان الناس قد أجازوا ذلك وأجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته وما هو أسهل وأشهر وأولى من غير تأثيم ولا تناكر، علم أنه لم يؤخذ في ذلك على الناس حد محدود مخصوص كما أخذ عليهم في القراءة والأذان، والسبب في ذلك أن الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز، فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته وتصويب الكاتب به على أي صورة كانت.

•الرأي الراجح:
•والذي نراه أن رسم المصحف اصطلاحي وليس بتوقيفي؛ لأن القول بالتوقيف يحتاج إلى دليل وليس ثم دليل من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال الصحابة على ذلك، ولم يقل به أحد من علماء السلف بل هو لبعض المتأخرين.
•وأما ما روي من روايات فهي إما غير صحيحة أو لا تدل على المراد من القول بالتوقيف بل تدل على وجوب التزام الرسم وليس هذا هو موضع الخلاف هنا واحترام الرسم العثماني واستحسانه والتزامه لا يلزم منه القول بأنه توقيفي.

•حكم التزام الرسم العثماني:
•اختلف العلماء في حكم التزام الرسم العثماني إلا ثلاثة أقوال:
•القول الأول:
•وجوب التزام الرسم العثماني وتحريم مخالفته :
•وهو مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك وأقوال العلماء ونصوصهم في ذلك كثيرة ومنها أن الإمام مالك رحمه الله تعالى سئل: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا. إلا على الكتبة الأولى.

•وقال أشهب: سئل مالك فقيل له: أرأيت من استكتب مصحفًا اليوم أترى أن يَكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك. ولكن يكتب على الكتبة الأولى.
•قال أبو عمرو الداني: "ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة وبالله والتوفيق".

•وقال أشهب: سئل مالك عن الحروف تكون في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تغير من المصحف إذا وجدت فيه كذلك؟ قال: لا.

•وقال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك".

•وقال البيهقي في شعب الإيمان: "من يكتب مصحفًا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئًا فإنهم كانوا أكثر علمًا وأصدق قلبًا ولسانًا، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكًا عليهم".

•بل قال الجعبري في شرح العقيلة: إن ذلك هو مذهب الأئمة الأربعة"

•وقال الزمخشري في تفسيره: "خط المصحف سنة لا تغير".

•وقد صدرت فتوى هيئة كبار العلماء بالرياض رقم71 وتاريخ 21/ 10/ 1399 بأن المحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم "يعني الرسم العثماني" هو المتعين اقتداء بعثمان وعلي وسائر الصحابة وعملًا بإجماعهم".

•وقد أيد هذه الفتوى مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة

•كما أيدتها دار الإفتاء بمصر.

•القول الثاني: جواز كتابة القرآن بالرسم الإملائي الحديث:

•وممن ذهب إلى هذا القول الباقلاني وابن خلدون وعدد من المعاصرين واستدلوا بأدلة منها:

•1- أن هذه الخطوط والرسوم ليست إلا علامات وأمارات فكل رسم يدل على الكلمة ويفيد وجه قراءتها فهو رسم صحيح وكاتبه مصيب.

•2- أن كتابة المصحف على الرسم العثماني قد توقع الناس في لبس،ومشقة وحرج، ولا تمكنهم من القراءة الصحيحة السليمة وكتابة القرآن بالرسم الحديث فيه تيسير على الناس ورفع للحرج والمشقة.

•3- ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في إجماع الأمة ما يوجب التزام الرسم العثماني.

•القول الثالث: جواز كتابته بالرسم الإملائي للعامة وللتعليم مع الإبقاء على الرسم العثماني في المصاحف والمحافظة عليه للعلماء والخاصة.

•ومال إلى هذا الرأي الشيخ العز بن عبد السلام والزركشي رحمهما الله .

•والرأي الراجح:

•والراجح من هذه الأقوال فيما أرى هو أولها؛ إذ نص علماء السلف على وجوب التزام رسم المصحف وتحريم مخالفته ونستدل على ذلك ما يلي:

•1- أن القرآن كتب بهذا الرسم في عهد عثمان وفيه كبار الصحابة فتلقوه هم وبقية الصحابة حينذاك وعددهم لا يقل عن اثني عشر ألفًا بالقبول ولم يعترض أحدهم على زيادة حرف أو نقصانه، وتلقاه من بعدهم التابعون ومن بعدهم.

•2- أن الكتابة كغيرها من العلوم والمعارف تتغير وتتبدل، وتتطور من عصر إلى عصر ومن بلد إلى بلد، فلو كتب في عصرنا هذا على طريقتنا في الكتابة لاحتاج من في المغرب العربي إلى كتابته بصورة أخرى، واحتاج من الهند وباكستان إلى كتابة ثالثة، ولاحتاجت الأجيال من بعدنا إلى تغيير وتبديل يعرض النص القرآني في كل مرة إلى الخطأ أو التحريف والتغيير.

•3- أن التغيير المستمر لرسم المصحف تبعا لتغيير أوضاع الكيابة ورسمها يعرض القرآن للتبديل والتحريف،ويمس قداسته، ويغض من هيبته، ويقلل من احترامه فتعتاد النفوس ويتبلد الإحساس وتخمد الغيرة على النص القرآني.
•4- أن إجازة كتابته بالرسم الإملائي وانتشاره بذلك واعتياد الناس لذلك يمهد للدعوة إلى تغيير الأحرف العربية وكتابة اللفظ بالأحرف اللاتينية ما دام النطق واللفظ هو اللفظ. بل الدعوة قائمة الآن إلى كتابة القرآن بالأحرف اللاتينية.

•5- أن للرسم العثماني فوائده وحكمه، ومزاياه التي يضمنها الالتزام بالرسم العثماني ولا تتحقق في سواه.
•6- أن تعليم القرآن وحفظه لا يكون من المصحف وإنما عن طريق المشافهة عن حافظ متقن، ومن سلك هذا الطريق لم يشكل عليه رسم.

•7- أن الاحتجاج بتعليم الصبيان غير مسلم، فها نحن نراهم يتعلمون اللغات الأجنبية بحروفها ولغاتها ويتقنونها وينكرون كل الإنكار كتابة الكلمات لهم بالأحرف العربية بل يوجبون قراءة اللغة الأجنبية بأحرفها الأجنبية مع الاختلاف الكلي بين اللغتين بينما الاختلاف بين الرسم العثماني والإملائي ليس إلا في كلمات معدودة ورسوم محدودة.
•8- أن تعليم الصبيان لا يكون بالمساس بالنص الديني وإنما يكون برفع مستوى الأذهان، والتهيئة النفسية لذلك.

•9- أن في الالتزام برسم المصحف ضمان قوي للنص القرآني من التحريف والتبديل، ولو تم تغييره في كل حين والتصرف في كتابته في كل عصر لأدى ذلك إلى تعريض المصحف للتغير والتبديل، والتحريف.
•10- أن الذين دعوا إلى كتابة المصاحف بالرسم الإملائي ليسوا من القراء ولا من العلماء المختصين بالرسم، وإنما عمادهم الرأي المجرد بل إن بعضهم من المشهورين بالإلحاد وسوء المعتقد، وفيهم من دعا إلى ذلك بحسن نية كلها دعوة ينقصها العلم الشرعي، والله المستعان.

اسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد

أخوكم المهاجر